

تطورات تكنولوجيا الإعلام والاتصال وانعكاساتها على حرية الصحافة في البلدان العربية

أ. أمينة نبيح

أستاذة مساعدة "أ" بقسم علوم الإعلام والاتصال،
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية،
جامعة يحيى فارس، المدينة.

ملخص

لقد أعطى تطور تكنولوجيا الاتصال والإعلام للمعرفة والمعلومات قدرات وإمكانات كبيرة على اختراق الحدود والأزمنة، مما سيغير بسرعة غير مسبوقة اقتصادنا و سياستنا وتربيتنا وقيمنا على أكثر من مستوى. إذ لم تعد العلاقات الإنسانية في ظل القرية الكونية مجرد علاقات تقتصر على البيئة التي نعيش فيها، وإنما على العالمية والكونية باستخدام وسائط الاتصال الجماهيري الرقمية، التي أتاحت للأفراد فرص التواصل والاكتشاف والتغيير، بحرية لم توفرها من قبل أي وسيلة للإعلام والاتصال.

وتسلط الورقة الضوء على ثورة المعلومات وما أفرزته من عمليات اجتماعية منها صحافة المواطن. كما تعالج إشكالية حرية الصحافة في البلدان العربية، وظهور خدمة المدونات الإلكترونية، التي شكلت خطوة عملاقة في تاريخ الإعلام، بصفتها آلية من آليات التعبير الحر. كما عالجت الورقة بالتحليل الظاهرة السالفة الذكر وعلاقتها بمواقع التواصل الاجتماعي (Facebook) وحركة التغيير السياسي في البلدان العربية، وتحديد الثورتين التونسية والمصرية وردود فعل الجزائريين. مع الإشارة إلى تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية.

Résumé

et de communication Le développement des technologies de l'information (TIC) a offert aux connaissances et à l'information des grandes capacités et possibilités pour dépasser les frontières et les temps, ce qui va changer à une vitesse sans précédent les politiques de notre économie, notre éducation, ainsi que les valeurs à tous les niveaux.

Les relations humaines ne sont plus, dans un village planétaire, de simple relations limitées à l'environnement ou nous vivons, mais se distinguent par l'universel et le planétaire grâce à l'usage des moyens de communication numériques, qui ont permis aux gents les possibilités de communiquer, de découvrir et de changer, avec une liberté jamais offerte par aucun médium auparavant.

Ce papier éclaire la révolution de l'information et ce qu'elle a engendré comme processus sociaux dont le journalisme citoyen. Aussi, traite des problèmes de la liberté de la presse dans les pays arabes, et l'émergence du service des blogs électroniques, qui ont constitué un grand pas dans la l'histoire de l'information étant un outil de la libre expression.

Le sujet et une analyse également du phénomène sus cité et sa relation avec les réseaux sociaux (Facebook) et le mouvement du changement politique dans les pays arabes, notamment les révolutions tunisiennes et égyptienne ainsi que les réactions des algériens. Avec une référence particulière à l'impact des réseaux sociaux sur les relations sociales.

مقدمة

يعرف عالم اليوم تطورات متسارعة في ميدان الاتصال، انعكست بدرجة كبيرة على ميدان الإعلام وعلى عالم الصحافة المكتوبة التي طالما لعبت دورا هاما، وأحيانا فعالا، في حياة الفرد والمجتمع منذ أن ظهرت وازدهرت عبر القرون الماضية. واليوم، يكاد المرء المتخصص يعجز عن مواكبة التغير الذي يحدث كل لحظة تقريبا في المستحدثات التكنولوجية، التي تكتسب قيمة مضافة خارقة لدى المؤسسات والأفراد، نظرا لاختراقها لمختلف ميادين أنشطة الحياة اليومية، وبصفة خاصة مجال الإعلام والاتصال.

ومن بين أبرز التطورات التكنولوجية خلال العقدين الماضيين التي كان لها الأثر البالغ على المستوى المحلي والعالمي، تأتي الانترنت في الصدارة بدون منازع. فمنذ أن انطلقت شبكة الانترنت بشكلها التسويقي عالمياً في 1993، تغيرت مفاهيم ومعاني الكثير من استخداماتنا في الحياتية اليومية،

وأصبح تطور قنوات الاتصال والتعبير يتواتر بشكل متسارع لم تعهده الوسائل الإعلامية التقليدية منذ أن اخترع الإنسان الطباعة في القرن الخامس عشر، مروراً باختراع الموجات اللاسلكية التي فتحت المجال لابتكار وسائط التعبير المسموعة والمرئية. وخلال العقد الأخير من عمر شبكة المعلومات الدولية، أصبحت السرعة التي تتضاعف لخدمة الانترنت تؤثر بشكل مباشر على تطور استخداماتنا لهذه التقنية المتجددة، خاصة مع ظهور أساليب ومفاهيم جديدة أثرت على الوسط الإعلامي وعلى الصحفي تحديداً.

وعليه، فإننا سوف نعالج في هذه الورقة موضوع انعكاسات هذه التطورات التكنولوجية والمفاهيم المتولدة عنها على حرية الصحافة في البلدان العربية، مع التركيز على مواقع التواصل الاجتماعي والتغير الذي أحدثته على المستويين الإعلامي والسياسي.

1- التطورات التكنولوجية الإعلامية وإشكالية تحديد المفاهيم الصحفية.

تتعدد الدراسات في الوقت الراهن حول أثر التطور المتسارع واليومي للتكنولوجيا الإعلامية، وحول المصطلحات والمفاهيم الجديدة في الإعلام والاتصال، في ظل تغير الموازين العملية لوسائل الإعلام التقليدية، وظهور خدمات رقمية، ومهن افتراضية بحسب الوسيلة والمتمثلة في شبكة الانترنت. هذا التطور وهذه القفزة جعلت الباحثين في مجال علوم الإعلام والاتصال يدمجون فيما بين مفاهيم قديمة وجديدة، بدون النظر إلى ما ستؤول إليه لغة المفاهيم الخاصة بالإعلام والاتصال، وتأثيرها على مستقبل المهنة جراء تداولها ونقلها من جيل إلى جيل، ومن بين هذه المفاهيم الشائعة يمكن ذكر:

أ- **ثورة المعلومات:** في هذا الموضوع، يتحدى الباحث Winston الفكرة السائدة والقائلة بثورة المعلومات في مجال تكنولوجيا الاتصال، من خلال إلقاء الضوء على التاريخ الطويل للتطورات التي شهدتها هذه الوسائل، قبل البداية الفعلية لاستخدامها داخل المجتمعات التي استوجبت توافرها، فالفاكس قُدم كوسيلة اتصال للمرة الأولى عام 1847، والتلفزيون الذي دخل بدأ استعماله في النصف الأول من القرن العشرين، تعود أولى براءات اختراعه إلى العام 1884، أما الرقمنة التي دخلت عالم الإنتاج وتبادل وتخزين مختلف أشكال المعلومات والصور في بداية العقد الأخير، كانت قد عرضت

تجاربها الأولى عام 1938، وحتى مفهوم الشبكة والذي دخل سوق العمل الفعلي عام 1992، يعود تاريخ بداية العمل فيه وتطويره إلى العام 1945.¹

ويوضح Winston أن فهمنا لوضعنا التكنولوجي الحالي الذي يقول أننا نعيش وسط ثورة المعلومات، يمكن تغييره أو رؤيته بطريقة مختلفة، إذا اعتبرنا أن ما يتم تضخيمه بوصفه ثورة، يمكن رؤيته كعملية تطور أكثر من عملية تحول، فكيف يمكن لأحد معرفة أن وضعاً ما قد تغير من دون معرفة الوضع الذي سبق؟

ب- **المدونات وصحافة المواطن:** أصبح يطلق على خدمة المدونات بالصحافة البديلة أو صحافة المواطن، وهذا ما جعلنا نقف عند الكثير من التساؤلات حول هذه النقطة، أهمها: هل صاحب المدونة متمكن من تقنيات وأساليب الصحافة حتى نطلق عليه اسم صحفي؟ وهل ترقى المدونات الإلكترونية إلى ما نجده في الصحف من أخبار وتقارير وتحقيقات وروبورتاجات؟ وإذا أصبح كل مدون صحفي، فما فائدة فتح أقسام علوم الإعلام والاتصال مادام أن كل مدون صار صحفياً، حتى ولو كان بدون كفاءة؟

لذا علينا أن نتساءل مستقبلاً كيف يمكن تدريس ظاهرة المدونات في كليات الإعلام والصحافة التي تعتمد في تدريسها على قاعدة أن "الخبر بلا مصدر إشاعة"؟ علماً أن الأخبار التي تتدفق يومياً من المدونات تلقى اطلاً واسعاً من طرف مستخدمي الشبكة، وهذا دليل على اعتبارها كوسيط إخباري رغم عدم مقدرة أية جهة التأكد مهنياً وعلمياً وموضوعياً من صحة مصادرها.

من هذا المنظور، يمكن للمرء أن يتساءل: هل أقل أو سيفل نجم وكالات الأنباء ومصادر الخبر الكلاسيكية؟ وهل ما زال يصح الحديث عن مدرسة الخبر في تدريس نظريات الصحافة القائلة بأن "الخبر مقدس والتعليق حر"؟ وهل قلبت المدونات الشعار وأصبح الحديث الشائع هو "الرأي مقدس والخبر حر"؟ وما على المواطن إلا أن يصنع خبره بنفسه بحكم توفر عنصر النشر المجسد للجميع في شبكة الانترنت والمدونات.

ويجدر للذكر، في هذه النقطة، أن الكثير من المدونات تحمل ما نجده في الصحافة التقليدية، ولإعطاء حقها يمكن أن نطلق على كاتبها اسم مدون هاو للصحافة، ويمكن أن نطلق على مدونته اسم الصحافة الحرة أو الشعبية.

أما المفهوم الثاني، وهو "صحافة المواطن"، فقد أطلق على الصحافة في المرحلة التي سماها Crosby الموجة الثالثة، والتي حققت فيها مستحدثات الانترنت حالي التخصيص والفرديّة، اللتان

¹ - آرمون مافلار، عولمة الاتصال، الكتاب السادس الخاص بتجمع الباحثات اللبنانيات، 1996، ص 220.

مكننا أفراد الجمهور العادي من تأسيس نظم صحفية جديدة تعددت أسماؤها، ولم تتبلور خصائصها بشكل كامل مثلها مثل العديد من التجارب الصحفية في الانترنت.¹

ويطلق DIOS على هذا النوع اسم User-generated content sites، وهو نوع يقع بين مواقع الأدلة الإخبارية وموقع التعليق. كما أطلق عليها Dan Gilmore و Chris Willis و Sean Bowman تسمية صحافة المواطن journalism citizen.²

وهي معروفة كذلك بالصحافة التشاركية participatory journalism، وقد ناقش هذه التسمية Lasica في كتابات مختلفة، وبحسبه فإن "الصحافي المواطن يلعب دورا نشيطا في عملية جمع وتحليل ونشر الأخبار".³

كما أطلق عليها أيضا تسمية صحافة الجمهور Public journalism، لأنها تصدر من قبل الناس العاديين، وهي تعمل على الاستفادة منهم بمن فيهم الذين يعيشون على هامش المجتمع، للدخول في نشاط كان سابقا حكرا على المؤسسات الصحفية وعلى الصحافيين المحترفين.⁴ ولقد نشأ من هذا النوع ما أطلق عليه Andrew Leonard تعبيرا "صحافة المصدر المفتوح" Open source journalism التي تتكون مادته من قبل القراء. حيث نشر Leonard فكرته في مقال له سنة 1999 على موقعه Salon.com، على خلفية استخدام الكاتب John Engels ردود وتعليقات القراء على مقال عن "الإرهاب السيبروني" cyber terrorism على موقع Slashdot، ثم أعاد نشره في مجلة Jeans Antgelinz Revie معتمدا على تعليقات القراء وقام بمنحهم حقوقا مادية. كما مثلت كل من تفجيرات لندن 2005 ومؤتمر الدول الصناعية الثمانية في Scotland، فرصة جديدة لصعود هذا النوع من الصحافة. فبينما كانت وسائل الإعلام الرئيسية تغطي المؤتمر، كان الجمهور العادي يحرر نشرات أخبار وينشر صوراً في شبكة الانترنت في Scotland لتغطية مؤتمر الثمانية الكبار.

¹ - عباس مصطفى صادق، التطبيقات التقليدية والمستحدثة للصحافة العربية في الانترنت، مؤتمر صحافة الانترنت في الوطن العربي، الواقع والتحديات، جامعة الشارقة، 22-24 نوفمبر، 2005.

² - نفس المرجع.

³ - J.D, Lasica, What is Participatory Journalism? OJR, 2003.

Source, <http://www.ojr.org/ojr/workplace/1060217106.php>.(Accessed June 2005).

نقلا عن: عباس مصطفى صادق، مرجع سبق ذكره.

⁴ - عباس مصطفى صادق، مرجع سبق ذكره..

ومن نماذج صحافة الجمهور الموقع الكوري الإخباري ohmynews.com ، الذي تقوم فكرته على إزالة الوسيط بين القارئ والصحيفة، أي إلغاء وظيفة المحررين والصحافيين. ليكون بذلك القراء هم من محررون الأخبار والمقالات وهم من يقرؤونها وبقومونها، تحت شعار: "الصحافيون ليسوا فصيلا فريدا من البشر، أي مواطن باستطاعته أن يكون مراسلا".

ويقول DIOS في هذا المضمار "أنه بمنتصف التسعينات بدأت المؤسسات الصحفية والجهات الأكاديمية، تدرك بأن صحافة الانترنت لها تطبيقات لا علاقة لها مطلقا بمفاهيم وتطبيقات الصحافة التقليدية، وأن الصحافيون ليسوا وحدهم من يتولى مسؤولية توصيل المادة الصحفية. لقد بدأ ظهور نمط جديد من الصحافة والصحفيين من أفراد الجمهور لا علاقة لهم بالمؤسسة التقليدية.¹ وهذا بالفعل ما رأيناه مع المدونات الالكترونية، التي أصبحت تسمى بصحافة المواطن، وهذا الاسم خلق إشكالا في عالم مهنة الصحافة التقليدية، لأنه إذا أصبحت المدونات صحافة المواطن، فهل الصحف التقليدية تعتبر صحافة غير مواطنة؟

لذلك نرى أن تسمية المدونات بالصحافة الشعبية أقرب إلى الإعلام الجديد وإلى المدونات، من تسميتها بصحافة المواطن.

2- حرية الصحافة في البلدان العربية:

إن انفجار المعلومات والدخول في عصر الأقمار الصناعية والفضائيات، ودعوات إعادة هيكلة وتطوير قطاع الإعلام السمعي والمرئي التي عرفتها بعض البلدان العربية في السنوات الأخيرة، لم يترتب عليها إحداث قطيعة مع إرث الهيمنة والاحتكار المفروضين من قبل بعض حكوماتها على الإعلام السمعي والمرئي. ومن ثم تتضاءل إلى حد كبير فرص الانتقال إلى إعلام تعددي حر ومستقل كما تعرفه المجتمعات الديمقراطية.

كما أن تحرير قطاع البث السمعي والمرئي لن يتأتى بمعزل عن تحرير مختلف الوسائل الإعلامية وتكريس حرية التعبير والصحافة، ومراجعة مختلف القيود التي تفرضها تلك الحكومات على حرية تداول المعلومات والآراء والأفكار، وعلى حق الإعلاميين والصحفيين في النفاذ إلى المعلومات وبثها أو نشرها.

فقد باتت حرية التعبير واحدة من لوازم الحديث عن حاضر ومستقبل البلدان العربية. وقد يدعي بعض الرؤساء أن بلدانهم تتعم بحقل حر للتعبير، غير أن ادعاءاتهم سرعان ما تتعرض للانهياء، خلال نقاش جدي تستخدم خلاله وسائل قياس أولية للتمييز بين التعبير الحر والتعبير

¹ - نفس المرجع.

خاصة، وأن مجتمع المعرفة مبني على إنتاج ونشر المعارف والمعلومات وتوزيعها بكل حرية لاستخدامها في جميع ميادين نشاط المجتمع وحتى في الحياة الخاصة. لأن المعرفة أصبحت الآن الوسيلة المثلى لتحقيق الأهداف العليا والقيم النبيلة للإنسانية، المتمثلة في الحرية والعدالة والمساواة وكرامة الإنسان. وهي اليوم، عامل أساسي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولا يمكن لأي مجتمع أن يتحقق وأن يحقق هدف المعرفة بدون توفير الحرية وفتح مجالات الإبداع بكل أشكالها، من حرية الإنتاج وتقبل المعلومات إلى حرية استيعاب الأفكار وإنتاجها وترويجها وتلاحقها.¹

فالمتمتع في أحوال البلدان العربي يدرك أن هناك نقصا وضعفا على المستويين: مستوى الإنتاج ومشاركة المجتمعات العربية في الإبداع والتأليف والترجمة، ومواكبة التطورات الاتصالية والعلمية والتكنولوجية، ومستوى حرية أفرادها وحرية إبداعهم وتلقيهم للمعلومات أيا كانت تلك المعلومات. خاصة وأنه في جل الدول العربية تسوق المعرفة والمعلومة حسب إرادة السلطات العمومية، وتوجه القدرات العلمية والتقنية لمزيد من الرقابة والتحكم في إرادة الرعية.

في هذا المضمار، جاء في التقرير العربي للتنمية البشرية لسنة 2003 الصادر عن برنامج الأمم المتحدة للتنمية "أن المجتمعات العربية تعاني من عجز ثلاثي الأبعاد: عجز عن استيعاب المعرفة وعجز عن الحريات وعجز عن تحرر المرأة"، وهي أهم المعضلات التي تواجهنا اليوم حتى نخرج من التخلف والاستبداد إلى التقدم والديمقراطية والمعرفة. وإذا اعتبرنا أن وسائل الإعلام من أهم وسائل نشر المعرفة، وهي كذلك من أهم وسائل نشر الحرية، نجدها في البلدان العربية تعاني من عدة مشاكل، رغم ما تشهده من حركية ملحوظة في السنوات الأخيرة. فهناك مشاكل على صعيد البنية الأساسية والمستلزمات المادية، وهناك مشاكل أكثر إيلاما على مستوى المضامين، وما تقدمه من برامج وما تسعى له من أهداف.²

إذ أنه "مقابل معدل 285 صحيفة لكل ألف مواطن في البلدان المتقدمة، لا يتعدى المعدل في البلدان العربية 53 صحيفة فقط".³ وتتعرض هذه الصحف لشتى أنواع التضيق على حرية التعبير والنشر. كما تقع مصادرتها أو تعطيلها كلما حاولت الخروج عن الخطوط الحمراء وما أكثرها.

¹ - نبيح أمينة، المدونات الالكترونية العربية المكتوبة، بين التعبير الحر والصحافة البديلة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 03، 2009، ص36.

² - محمد فوراتي، واقع حرية تنقل المعلومات في الوطن العربي، من لقاء أصدقاء لبنانية.....

Source: <http://www.Javaxript: hitory.go> (-1) (accessed: 04-06-2008)

³ - نفس المرجع.

فالممسكين بزمام الأمور يعملون على تناسي أن الصحافة سلطة شعبية تنهض برسالتها بحرية واستقلال، من أجل تأمين وممارسة حرية الرأي والفكر والتعبير والنشر والحق في الاتصال، والحصول على المعلومات الصحيحة ونشرها وتداولها، كحقوق أصيلة غير قابلة للمساس بها. بصفتها وسيلة تسهم في نشر الفكر والثقافة والعلوم والارتقاء بها.

كما أنها وسيلة للرقابة الشعبية على مؤسسات المجتمع، من خلال التعبير عن الرأي والنقد ونشر الأخبار والمعلومات في إطار الدستور والقانون، مع احترام المقومات الأساسية للمجتمع من حقوق وحرريات وقيم. فحرية الرأي والتعبير مكفولة لكل مواطن، وله أن يعبر عن رأيه بكافة الطرق كالكلام والكتابة والتصوير والرسم وغيرها من وسائل التعبير.

في ظل هذه الظروف، اكتسحت التكنولوجيا الحديثة عملية الإنتاج والتحرير، ونُحِتَتْ بذلك مفاهيم جديدة جراء ظهور النشر الإلكتروني الذي قلب كل المعايير الإعلامية التقنية منها والعملية، فانتشرت الانترنت كدعامة نشر جديدة في عالم الصحافة المكتوبة. وبذلك خلقت الثورة التكنولوجية الحديثة في ميدان الاتصال وسائط اتصالية جديدة ذات مزايا غير مسبوقة، إذ تعتبر الانترنت أكثر هذه الوسائط إثارة للجدل، حيث واكب ظهور انتشارها مظاهر شديدة التغير عصفت بالمبادئ التقليدية للإعلام.

وبهذا بدأت الصحف العالمية باستحداث مواقع خاصة لها على الشبكة، ضمنها العديد من الخصائص التي يصعب على المطبوعة الورقية تقديمها، ومع انخفاض تكلفة تقنية المعلومات مع مطلع الألفية الثالثة تضاعف عدد مستخدمي الشبكة بشكل فاق التوقعات، مما أدى إلى انخفاض مبيعات الصحف المطبوعة في جميع أنحاء العالم، باستثناء الدول التي ما يزال انتشار الشبكة الدولية فيها محدوداً، والتي كانت البلدان العربية إحداها قبل وقت ليس بالبعيد.

ولكن ما أدى إلى استحداث الصحافة الرقمية في البلدان العربية، ليس تبني المؤسسات الإعلامية والصحفية الرسمية لهذه التقنية لتقديم مطبوعاتها بشكل أكثر فعالية، وإنما افتقار الوسائل التقليدية المطبوعة والمسموعة والمرئية لعوامل التطور وتدني أدائها في مجالاتها المتعددة، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن احتكار الدولة بكل قيودها لوسائل التعبير وجمودها وخوفها من التطوير ساهم في تنمية الصحافة الرقمية.

كل هذه العوامل، جعلت الموجة الجديدة من الكتاب والصحفيين تحتضن تقنية المعلومات وتمارس مغامراتها في حرية لم يعهدها المثقف العربي، فكانت البداية بمواقع بسيطة مجانية عرضت من خلالها أخبار المشهد الثقافي العربي والمحلي، وقرارات في أهم الإصدارات الحديثة إلى جانب

نشر النصوص الأدبية، حيث استعانت في تقديم هذه الخدمات بالصورة الملونة والروابط التفاعلية، وسرعة الاستجابة للحدث والمعلومة، وهذا بالطبع من خلال تأسيس عدة مواقع صحفية أخرى رسمية ومستقلة، شكلت قوة دافعة للعديد من الكتاب للخروج من القوالب التقليدية للصحافة والإعلام.

3- المدونات وانعكاساتها على حرية الصحافة في البلدان العربية:

كما سبق وأن ذكرنا، شهدت الألفية الثالثة نموا متسارعا في المعطيات المعرفية والتقنية، وخلق فضاءات جديدة للتعبير الحر. وبالتالي تغيرت أشكال تواصل الإنسان التقليدي، حيث أن هناك علاقة جدلية متزايدة الوثيرة بين المجتمع ووسائل الاتصال بمعنى أن هذه الأخيرة تؤثر في المجتمع وهذا الأخير يؤثر في وسائل الاتصال.

وتعاني الصحافة التقليدية العربية بشكل عام من التدخل السياسي للأحزاب المحلية والجماعات الدينية ومن حكومات دولها، وكذلك من حكومات دول عربية أخرى. فالإساءة إلى دولة صديقة مثلا: تعتبر جريمة في قوانين الصحافة التقليدية في معظم الدول العربية، بما فيها قانون جرائم النشر. وقد تم رصد حالات انتهاكات في بلدان عربية، تم فيها حبس صحفيين أو منعهم من الاشتغال بمهنة الصحافة أو وقف الصحف والمحطات التلفزيونية.¹

غير أن، التقدم في بعض البلدان العربية من أجل توسيع نطاق الحريات الصحفية والحريات العامة، لا يحرز تقدمها بدون توضيحات، تزيد مع زيادة قوة تيار حرية الصحافة. ومن ثمة فإن ردود الفعل سواء من جانب الحكومات أو من جانب القوى المتطرفة المتشددة تكون عصبية وعنيفة. ففي تونس مثلا كان يعتبر الرئيس الهارب (زين العابدين بن علي) واحدا من بين عشرة أسوأ أعداء الصحافة لمنظمة مراسلي بلا حدود. كما أن جميع الصحف الرئيسية في الأساس كانت تتبع خط الحكومة، أما المطبوعات الأجنبية كصحيفة Le Monde و Le Figaro، غالبا ما تكون محظورة أو مراقبة.²

من جهة أخرى، فإن النظام الإعلامي والاتصالي الموجود في أي بلد، هو في الواقع انعكاس للبنيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة فيه. كما أن دور الإعلام يختلف من مرحلة إلى أخرى خاصة فيما يخص حرية التعبير والصحافة، والتي كانت ومازالت مقننة وفق قوانين خاضعة لبعض الاعتبارات السياسية. مما أدى إلى خلق فجوة بإمكان التكنولوجيا الحديثة تجسيرها،

¹ - إبراهيم نوار، حال الحريات الصحفية في العالم العربي، المنظمة العربية لحرية الصحافة...

Source: <http://www.apfw.org/indexarabic.asp?fname=report\arabi\2004\pa1100.htm> (accessed 05/12/2007)

1- Censorship in Tunisia information and match more from answers.com.htm...

Source: http://www.blog_study.blogspot.com (accessed 18-04-2008)

من خلال توفير خدمات معلوماتية اتصالية أفضل وأسهل استخداما وأقل تكلفة بفضل خدمات شبكة الانترنت، من بريد إلكتروني ونشر إلكتروني ومواقع بحث إلكترونية، وأحدث خدمة تم التوصل إليها هي مواقع التواصل الاجتماعي التي جاءت بعد موجة المنتديات والمدونات.

هاته الأخيرة، شكلت ثورة كبيرة في تاريخ الإعلام، بحكم أن الإعلام كانت أسواره عالية، وكان مخصصا للنخبة والصحافيين ليقولوا ما يريدون قوله للجمهور، بينما هذا الإعلام الجديد المتحرر، يفتح أبوابه للجميع ليكتبوا أو يرسلوا ما يريدون في ديمقراطية إعلامية غير عادية، شريطة توفر بعض المعارف التقنية واللغوية. حتى أن الكثير من القراء استطاعوا من خلال إيمانهم على الكتابة في مواقع المدونات أن يحققوا تأثيرا كبيرا يزيد على تأثير الكثير من الصحفيين، رغم أن بعضهم يكتب خلف اسم مستعار لا تعرف أعمارهم أو جنسياتهم، وأحيانا لا تعرف إن كانوا ذكورا أو إناثا!

وتعتبر المدونات شكلا جديدا من التواصل وآلية من آليات التعبير، التي تمنح لصاحبها حرية التعبير بدون تلك القيود المفروضة من طرف أي شكل من أشكال الرقابة، التي تعمل على قمع الحريات وحجب الأصوات المعارضة. هذه الخدمة التي شكلت في السنوات الماضية ظاهرة قوية وفاعلة على المستويين الإعلامي أو السياسي، لتكون محل جدل حول الأثر الذي يمكن أن يلعبه التدوين، خاصة وأن تأثيرها وشهرتها فاقت التوقعات، وياتت تمثل صداعا في رأس العديد من الحكومات العربية، بصفقتها وسيلة تتيح لمستخدميها فضح الممارسات الغير قانونية واللامرورية التي تنتهجها حكوماتهم لاسيما بعد النشاط البارز للمدونين، الذين كانوا كمن أشار لطريق جديد يمكن أن يسلكه أي فرد من المجتمع، حتى ولو دفع هؤلاء المدونين ثمنا لنشاطهم، مثل ما حدث ومازال يحدث مع الكثير منهم.

فقد أصبحت المدونات العربية بشكل عام، أداة فعالة أجاد المدونون العرب استخدامها، سواء في التعبير عن همومهم وهموم مجتمعاتهم، أو في استعمالها كوسيلة إعلامية حرة تتفق مع نظيرتها التقليدية في أمور عديدة، وتتنافر معها في أكثرها. إذ تتجلى في العديد من المدونات رغبة جامحة في تفجير المكبوت من الرأي والرؤى عبر الفضاء المفتوح لشبكة الانترنت. وهذا ما لا يتاح عبر وسائل الإعلام التقليدية، التي ما يزال النشر في معظمه فيها محكوما بترياق الشهرة، بمعنى الاسم الذائع الصيت هو من يحظى بنشر مادته حتى لو كانت أي شيء، بينما تفتقد الأسماء المغمورة حقها في النشر حتى لو كانت أعمالها تمتلك كافة معايير الجودة، ونتيجة لهذا اتجه عدد من الأعلام صوب الشبكة لإنشاء مدوناتها ورفع صوتها.

كما أن، قدرة المدونين على تنقية وإفشاء المعلومات لقطاع عريض من المتلقين وموقعهم خارج نطاق الإعلام السائد، هما نقطتان من أهم نقاط قوتهم، فهم ينشرون المعلومات، يشيرون إليها ويعلقون عليها وفقا لمعاييرهم الخاصة المميزة. أما الصحفيون العاملون على نقل الأخبار، يدركون احتمالات الاستغلال السيئ الموجود في صلب نظامهم، الذي يعتمد على الدعم من قطاع الأعمال والممسكين بزمam السلطة، ولكل أجندته التي يعمل على تنفيذها، لأن قواعد الصحفيين الأخلاقية مصممة لتحديد مسؤوليات الصحفي ولتقدم ضوابط واضحة للسلوك، لضمان نزاهة الأخبار.¹

أما المدونات التي ينتجها غير المحترفين ليس لها مثل هذه الضوابط، والكثير من المدونين يبدون فخرهم بوضع الهواة هذا، تحت شعار "لا نحتاج لمن يدقق الحقائق وراءنا". لأن أعظم نقاط قوة المدونة كونها صوتا حرا بلا رقابة وبدون تدخل من أحد، وهي أيضا أعظم نقاط ضعفها، فقد تكون منافذ للكثير من الأخبار، وقد تكون أداة لفوائد الإعلانات، وقد يمتلك الصحفيون الحافز القوي للحفاظ على علاقات طيبة مع مصادرهم للبقاء في المجال.

ولكن، مادامت مؤسسات الأخبار المحترفة هي تجارة لديها مرتبات لتدفعها ومعلنين لتروج لهم ومتلقين لتخدمهم وتحفظ بهم، فبالتالي لديها مصلحة ذاتية لدعم معايير معينة كي يواصل القراء تسديد اشتراكاتهم والمعلنون شراءها. أما المدونات فبتكلفتها البسيطة وأملها القليل في دخل مادي جيد لا تمتلك هذا النوع من الحوافز، والأشياء ذاتها التي قد تحدد منافذ الأخبار المحترفة، هي في الوقت نفسه حوافز لمستوى معين من المعايير الصحفية، وهي التي تجعل المدونات بالغة القيمة كمصادر أخبار بديلة.

ويمكن القول، أن هناك الكثير من الصحف تعتبر عددا من المدونات مصادرا لها في صياغة الخبر ومتابعة الحدث. لكن لا شك أن هذا الاهتمام قد يعود بالسلب من ناحية مصداقية محتوى أي مدونة، فبعض المدونات قد تنشر شائعات بغرض الشهرة على حساب الضحية، ومثل هذه الأمور تدمر مصداقية المدونة التي روجت لهذه الشائعة، إلا أنها تكتسب شهرة بشكل سريع، وقد يكون ذلك غرض البعض من إنشاء المدونات. ومن جهة أخرى، ليس من المفترض أن نحمل المدونات المسؤولية من ناحية الترويج للشائعات، فهناك أيضا صحافة تفعل الأمر نفسه، وتكتشف شيئا فشيئا أن تلك الصحيفة تلتفك الأخبار بدون الاستناد إلى أي مصدر أو أصل صريح.²

¹ - نبيح أمينة، مرجع سابق، ص66.

² - فيروز زباني، ظاهرة المدونون في العالم العربي، من برنامج كواليس...

ولقد أشار مُحللون ومثقفون إلى تأثير لغة الصحافة التقليدية بشكل عام بلغة المدونات، بصفتها مصدرا رئيسيا من مصادر النشر الصحفية. فمثلا في بعض المدونات أصبحت اللغة العامية هي السائدة، أما اللغة العربية الأصلية أصبحت مُهمشة بدرجة كبيرة ولم تكن هي الأصل في صياغة أي إدراج بأي مدونة، وذلك يرجع إلى عدم التزام أصحاب المدونات بالعرف أو أي عادات أو تقاليد، أيضا، تجردهم من أي رسميات، مما أكسبهم شعورا بالحرية جعلهم يعبرون عما يريدون وبأي لغة.¹ ومن وجهة نظر علم الاجتماع، فينظر إلى التدوين باعتباره وسيلة للنشر العام، أدت إلى زيادة دور الشبكة باعتبارها أداة للتعبير والتواصل أكثر من أي وقت مضى. بالإضافة إلى كونها وسيلة للنشر والدعاية والترويج للمشروعات والحملات المختلفة. فيما يرى آخرون أن التدوين بقدر ما له من إيجابيات، له سلبياته الناجمة عن الحرية الكاملة التي يتذرع بها البعض في التدوين، فيدونون ما يتجاوز القيم والأخلاق، إلا أن هذا يبقى مرهونا بعقلية المدون والقارئ مثله مثل كافة تطبيقات الشبكة.²

4- نشأة مواقع التواصل الاجتماعي:

مواقع التواصل الاجتماعي هي عبارة عن شبكات على الانترنت، يتواصل من خلالها ملايين البشر الذين تجمعهم اهتمامات أو تخصصات معينة، ويتاح لأعضائها مشاركة الملفات والصور وتبادل مقاطع الفيديو وإنشاء المدونات وإرسال الرسائل، وإجراء المحادثات الفورية. وسبب وصف هذه الشبكات بالاجتماعية، أنها تتيح التواصل مع الأصدقاء وزملاء الدراسة وتقوي الروابط بين أعضاء هذه الشبكات في فضاء الانترنت، ومن أشهرها نجد Facebook و MySpace twitter... وغيرها.³ وتجدر الإشارة إلى أن أول ظهور لهذه الشبكات كان في بداية التسعينيات، ففي عام 1995 صمم Randy Conradz موقع Classmates.Com، وكان الهدف منه مساعدة الأصدقاء والزملاء الذين جمعتهم الدراسة في مراحل حياتية معينة وفرقتهم ظروف الحياة في أماكن متباعدة، وكان هذا

¹ - Source: <http://www.mganan.com/s-0-0-resources-wiki-thread-1913>(accessed 14/02/2008)

² - جمال حسين، الصحافة الالكترونية في مواجهة الجرائد الالكترونية...

Source:http://www.alquabas.com.kn/final/newspaperwebsite/newspapes_public (accessed 15/11/2007)

³ - حسنين شفيق، الإعلام الجديد الإعلام البديل تكنولوجيا جديدة في عصر ما بعد النفاغلية، دار فكر وفن للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، ص 181.

الموقع يلبي رغبة هؤلاء في التواصل فيما بينهم رقمياً. بعد ذلك توالى تأسيس مواقع الشبكات الاجتماعية، إلى أن أصبحت تستقطب أكثر من ثلثي مستخدمي الانترنت،¹

أما Face book فقد بدأ بداية غريبة من نوعها، حيث تم إنشائه بواسطة طالب في إحدى الجامعات يدعى Mark Zuckerberg. وكان يهدف من إنشاء هذا الموقع إلى إيجاد وسيلة للتواصل بين طلاب جامعتيه الحاليين والخريجين، حيث قام وقتها بإدخال كافة أسماء الطلاب إلى الموقع، ومن ثم دعوتهم للانضمام والاستفادة من خدمات الموقع، بهدف التعرف على زملائهم السابقين والحاليين. وبذلك لاقت الفكرة رواجاً، وسرعان ما انتشرت في أوساط طلاب الجامعات، حيث توسع نشاطها بعد ذلك لتقوم بمنافسة مجموعة شبكات اجتماعية أخرى، كانت موجودة في تلك الفترة في الولايات المتحدة من عام 2004. وحتى عام 2009 قارب عدد المسجلين في الموقع 200 مليون مستخدم.² ويعتبر Facebook الموقع الأول من حيث الاستخدام في العالم -بعد ثورة المدونات- إذ يشارك فيه 200 مليون مستخدم منهم 64 مليون ناشط حسب إحصائيات مارس 2011.³

في هذا السياق، أكدت شخصيات رائدة في موقعي Facebook - twitter أن ظاهرة التواصل الاجتماعي عبر الانترنت ستتزايد مع تزايد استخدام الكمبيوتر أثناء حركة التنقل، وأن تطبيقات مثل Facebook- connect سيدمج بشكل متزايد في بناء التواصل الاجتماعي عبر الانترنت.⁴ ولقد قال Chris Hughes أحد مؤسسي موقع Facebook في Boston "خلال عامين إلى خمسة أعوام من الآن سيختفي السؤال عن أي المواقع تستخدم بخلاف الشبكات الاجتماعية لأن جميعها ستكون اجتماعية."⁵

وفي الوقت الراهن، أصبحت الشبكات الاجتماعية وسيلة فعالة للتواصل الاجتماعي كما أنها تتيح - بفضل ما تتمتع به من ذكاء - الربط بزملاء وأصدقاء فقدنا الاتصال معهم منذ فترة طويلة. وبذلك، أضافت هذه المواقع تنوعاً في حياة الناس بشكل غير مسبوق، وجعلت الملايين في أرجاء العالم قادرين على الإطلاع على معلومات متنوعة في ثوان، وربما تحديثها وتبادلها بأقل كلمات ممكنة.

5- مواقع التواصل الاجتماعي وحركة التغيير السياسي في البلدان العربية:

¹ - نفس المرجع ، ص 182.

² - نفس المرجع، ص 182.

³ - Source: <http://www.sudantv.net/newsdetails.php?> (accessed 05/10/2011)

⁴ - Source: <http://www.facebook.com/press/info.php?statistics> (accessed 22/10/2011)

⁵ - نعيم المصري، استخدامات الطلبة الجامعيين لمواقع التواصل الاجتماعي وأثرها على وسائل الإعلام الأخرى ، دراسة ميدانية على عينة من طلبة الكليات الفلسطينية، دراسة مقدمة لمؤتمر الإعلام والتحول المجتمعية الذي تعقده كلية الإعلام بجامعة اليرموك، اربد، الأردن، 23-25 أكتوبر 2011،

كانت البداية كما سبق وأن ذكرنا بالمدونات التي أحدثت ضجة كبيرة مهدت لظهور ثورات مواقع التواصل الاجتماعي، وقد لاقت العديد من عمليات الحجب والمراقبة وسجن أصحابها خاصة في المغرب وتونس ومصر وإيران، وأهمها المدونات التي اهتمت بالاحتجاجات التي تبعت الانتخابات التي أجرتها إيران في يونيو 2009. وكتب مستخدمو الانترنت مدونة بعنوان "إرشادات للمشاركة في حملة الانترنت ضد انتخابات إيران، وهذه الإرشادات تساعدكم على المشاركة في الاحتجاجات ضد الانتخابات باستخدام twitter"، مما أدى إلى جذب عدد كبير من المستخدمين، لاسيما بعد اندلاع أكبر احتجاجات من نوعها في السنوات العشرين الماضية، حيث تجمع في وسط العاصمة طهران آلاف من مؤيدي رئيس الوزراء السابق (موسوي) ولم تنته هذه الاحتجاجات حتى أواخر عام 2009.¹

كما برز دور هذه الشبكات الفاعل في الظروف الطارئة والأحداث العالمية، من أبرزها: تكاثف مستخدمي هذه الشبكات لقيادة حملة تبرع كبيرة لضحايا ومنكوبي زلزال Haïti، حيث تم جمع ملايين الدولارات لضحايا هذه الكارثة من خلال هذه المواقع.²

وعندما نسترجع بداية الأحداث التي وقعت في تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن، أول ما يتبادر إلى أذهاننا هو مواقع Facebook وtwitter وYou tube. فهذه المواقع التي لعبت وتلعب دورا في الثورات والاحتجاجات المتكررة، كانت وسيلة استفاد منها المحتجون للتعبير عن مشاعر الغضب تجاه السلطة. وشاهدنا كيف أنهم نجحوا في تنظيم أنفسهم والترويج لرسائلهم وزيادة سرعة الاتصال والتنسيق فيما بينهم بصفتهم معارضين للنظام. إذ لم يكن أحد يتصور أن مثل هذه الخدمات الرقمية ستحتل مكانة مهمة إلى هذا الحد.

فالمدونات ومقاطع الفيديو التي حملتها هذه المواقع لعبت دورا في تكثيف التواصل الاجتماعي منذ عام 2009، وهذا ما تجلّى بوضوح في الأحداث التي بدأت منذ أوائل جانفي 2011، والتي ولدت من رحم هذه المواقع بالأساس. فكانت دعواتها نواة لخروج الآلاف إلى الشوارع في تونس بداية ومصر ثم ليبيا، والكثير من الدول بالشرق الأوسط وشمال إفريقيا من سلطنة عمان إلى المغرب، للمطالبة بحقوق وحرية مسلوبة من طرف حكوماتهم. فمثلا كانت تصدر رسائل حول انطلاق الاحتجاجات على صفحات مستخدم واحد من كل عشرة تونسيين، وفق الإحصاءات الرسمية

¹ -رشدان تشن، مواقع التواصل الاجتماعي تقود التغيير السياسي في منطقة الشرق الأوسط،

Source http://arabic.china.org.cn/china-arab/txt/2011-03/11/content_22109948.htm (accessed 11-03-2011)

² - حسنين شفيق، مرجع سبق ذكره، ص 182.

التونسية.¹ حيث تجاوز عدد مستخدمي موقع Face book في تونس المليونين، تتراوح أعمار غالبيتهم بين الـ18 والـ34 عاما.²

هذا وانتقل تأثير الثورة الشعبية التي أحدثتها مواقع التواصل الاجتماعي إلى مصر، الدولة التي بدت الأولى في منطقة الشرق الأوسط استخداما لـ Facebook والمدونات، حيث استطاعت المعارضة الشبابية إثبات وجودها وتأثيرها خلال السنوات الأخيرة عبر استخدامها للإنترنت، فما حدث في تونس أثر بوضوح على الشارع المصري، والبداية انطلقت من bookFace حيث أطلقت مجموعة "كلنا خالد سعيد" موقعا لها على Facebook، وتمكنت من جمع آلاف الناقلين على الممارسات القمعية لوزارة الداخلية، وقد ساهمت هذه المجموعة نفسها في الدعوة والحشد ليوم الغضب المصري.³ كما كانت سببا في دعوة شباب على Facebook للخروج إلى الشارع والاحتجاج ضد نظام الرئيس المنتحي "حسني مبارك" تحت شعار "فعلها الشعب التونسي وسنفعلها في 25 جانفي". حينها اتفق 8 آلاف من مستخدمي الإنترنت على المشاركة، وتواصلوا مع بعضهم البعض عن طريق Face book و twitter و Gmail. كما انضم إليهم بعد ساعات آلاف آخرون، وصل عددهم بعد أيام إلى الملايين في شتى محافظات مصر. لتكتسي الاحتجاجات صبغة شعبية كل مصر لمدة 18 يوما، وهذا ما أجبر الرئيس "مبارك" على التحي وتغيير الخريطة السياسية في مصر بعد 30 عاما من الحكم.⁴

ويبدو أن السلطات المصرية أدركت التأثير القوي لمواقع التواصل الاجتماعي في لحظة ضائعة، وتعاملت مع هذا الأمر بطريقتها المعتادة "المنع والقطع"، فحجبت في البداية موقعي Facebook و twitter ثم عطلت شبكات الهواتف المحمولة، وقطعت خدمة الإنترنت عن البلاد، وهو ما دفع الكثيرين من مستخدمي الإنترنت وغيرهم إلى تصعيد الاحتجاج ونقله بنجاح من العالم الافتراضي إلى ميدان التحرير. لأن عمليات القمع والحجب لم تعد لها أي فائدة، في ظل التطور التكنولوجي الراهن، بل زادت الأمور والثورات التهاوبا. وهزمت الطوارئ، وما تنص عليه قوانين وتشريعات الطوارئ، من تجريم التجمع، حتى ما بين خمسة أشخاص، وأصبح بإمكان عشرات الآلاف

¹ -source : <http://www.tunisia-sat.com/vb/showthread.php?p=8143086>, (accessed 11-05-2011)

² - رشدان تشن، مرجع سابق..

³ -Source: <http://www.albayan.co.uk/article.aspx?id=782> (accessed 22/10/2011).

⁴ - رشدان تشن، مرجع سابق.

التجمع دون تنظيمات سرية، في عالم افتراضي أثبتت التجربة عدم انفصاله، وسهولة تحوله إلى أرض الواقع.¹

في هذه الظروف، ظهرت إلى الوجود جماعات سياسية فرضت وجودها على الساحة، مثل حركة 6 أبريل التي يعتبرها البعض النواة الحقيقية للأحداث في مصر، وحركة 25 يناير التي أفرزتها الثورة، هذا وقد كشف تقرير شركة Techno and Wireless المصرية والمتخصصة في التسويق الإلكتروني وشبكات الهاتف المحمول، أن عدد مستخدمي الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي في مصر زاد بنسبة تقارب 2 مليون، وذلك في أعقاب ثورة 25 جاني التي أطاحت بنظام الرئيس السابق حسني مبارك².

ويجدر للذكر، أنه بالرغم من أن الأحداث التي تبعت الثورات، مرتبطة إلى حد كبير بمشكلات وأوضاع اقتصادية واجتماعية وسياسية تراكمت على مر السنين. إلا أن البعض يرى أن هذه الثورات لها علاقة من قريب أو من بعيد أيضا بالمعلومات التي كشف عنها موقع Wikileaks الشهير، إذ تضمن معلومات حول الفساد المتقشي في النظم العربية، وأن مواقع التواصل الاجتماعي لعبت دورا كبيرا فيها، أو على الأقل في إطلاق شرارة هذه الأحداث.³

وفي الجزائر أيضا، غيرت شبكات التواصل الاجتماعي، وفي مقدمتها Facebook، منطق تفكير الجزائريين والشباب تحديدا. وقد تجاوز رقم مشتركه المليون في ظرف سنوات قليلة، وجعلت منه مصدر ومحور التفكير والتصرف بشكل لا إرادي. وما من أحد ينكر بأن الإنترنت قربت المسافات ليس بين الجزائريين فقط، بل بينهم وبين مستخدمي المواقع الاجتماعية في العالم أجمع. حيث يقول مؤسس المرصد الجزائري لشباب Facebook وtwitter، (عارف مشاركة) أن "عدد مشتركه Facebook في الجزائر قفز في ظرف أقل من سنتين من نصف مليون إلى ما يزيد على المليون، وهو رقم مرشح للارتفاع". ويرى بأن "الثورة التكنولوجية المذهلة لوسائل الإعلام، دفعت بالإعلام للعب دور هام سواء بمحاولة كسب التأييد أو الترويج لآراء ومواقف معينة من الحدث، لكن Facebook وtwitter قلبا الموازين، وصارا يصنعان الحدث والخبر في لحظته وعلى طبيعته". ويؤكد بأن "القدرات الإبداعية الهائلة للشباب الجزائري على Facebook، أذهلت كل دول العالم العربي، خصوصا أنها كانت الداعم الأول لثورة "الياسمين" في تونس، وساهمت في الترويج لقضية "الأشقاء". ومن هذا المنطلق بات من الضروري تأسيس مرصد هو الأول من نوعه في العالم

¹ - Source : <http://www.albayan.co.uk/article.aspx?id=782> (accessed 22/10/2011)

² - http://www.syria-news.com/readnews.php?sy_seq=130286

³ - رشدان تشن، مرجع سبق ذكره.

العربي، من أجل توحيد الرؤى ووضع استقرار الجزائر في مقدمة كل الاعتبارات.¹ ومع تسارع الأحداث تشكلت مجموعات هائلة عبر Facebook، يقودها شباب ومتقنون من مختلف التيارات، ومنها "اتحاد صفحات Facebook الداعية للتغيير في الجزائر" و"حزب Face book التقدمي (فرع الجزائر)"، و"معاً من أجل استقرار الجزائر"، و"أحب الجزائر"، وصولاً إلى عدد كبير من الصفحات الشخصية التي تعتمد على نقل الأخبار والمعلومات مثل: "محققون هواة". علاوة على ذلك، فإن إبداع الجزائريين على Face book، دفعت بوسائل إعلام كثيرة للاعتماد على هذه الخدمة في انتشارها وتقريبها من القارئ والمستمع والمشاهد، خصوصاً أن Face book صار المنتسب الوحيد للشباب، أمام تزايد حجم الاهتمام بالإنترنت والتواصل الاجتماعي، كما حطّم Facebook هيمنة الإعلام التقليدي، بل أصبح مصدراً من مصادر الأخبار التي تقدمها وسائله.²

6- تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية:

فاجأ الشباب العربي الأنظمة الحاكمة بصورة جديدة على الإنترنت، تخالف تماماً ما أشيع عنه بأنه "جيل تافه"، ينشغل بأتفه الأمور، وليس له أية علاقة بالشأن العام. لأن هناك الكثير ممن يرى أن إقبال الشباب العربي على مواقع التواصل الاجتماعي تمرد على وسائل الإعلام التقليدية التي لا تواكب التطور الاجتماعي، خاصة مع افتقارها إلى وسائل الترفيه التي تتخذها وسائل الاتصال الحديث مدخلاً لإشباع حاجات الشباب، بالإضافة إلى سعي الشباب للتميز عبر استخدام الوسائل الحديثة، لتوفرها على حرية التعبير وإثارتها للعديد من القضايا التي لا يتناولها الإعلام التقليدي. فوسائل الاتصال الحديثة تُعد وسيلة للتواصل الاجتماعي والمشاركة الفاعلة، ووسيلة للتعارف والتذكير بأهم الأحداث، فضلاً عن التناول الحر لمختلف المواضيع خاصة منها الاجتماعية والسياسية. وجدير بالذكر أن افتقار الوسائل الحديثة للمعايير المهنية والأخلاقية، وعدم أهليتها في كثير من الأحيان لأن تصبح مصادر للإعلام لاحتوائها على العديد من المعلومات الخاطئة، إلى جانب كونها وسيلة إدمان، تثير العديد من المخاوف لانتهاكها خصوصية الأفراد، مما دفع العديد من مستخدميها إلى تقديم الشكاوى والقضايا. وهذا ما يدل على أن مواقع التواصل الاجتماعي أتاحت للشباب فرصة تقبل فكرة الآخر والحوار، عبر طرح كافة القضايا وصولاً للحلول، بالإضافة إلى تسليط الضوء على الظواهر السلبية في المجتمعات، مما جعله أداة للتعبير الحر.

¹ - زبير فاضل، مليون جزائري يشتركون في الشبكة الاجتماعية، جريدة الخبر، العدد 6411، بتاريخ 12-03-2011، ص 23.

² - زبير فاضل، مرجع سبق ذكره، ص 23.

وتضاربت الآراء حول قبول ورفض انتشار المواقع الاجتماعية على الانترنت، معتمدة على دراسات وبحوث قام بها العديد من الباحثين الاجتماعيين والأطباء في مجال علم النفس والطب أيضا. حيث استنتجوا من خلالها أن هناك العديد من التأثيرات السلبية التي تنتج جراء الإدمان عليها، لاسيما تلك العوارض النفسية كالانعزال أمام شاشة الحاسوب، لتضع العالم بأكمله بين يدي المستخدمين، وهي حالة من السكون والخمول، بحسب آراء بعض الأطباء النفسانيين، لأن الشخص عندما يقوم بذلك فهو يفقد متعة الحياة المباشرة من مغامرة وتشويق وتعارف وإطلاع أقرب وتجارب أكبر.¹

هذا ويميل مستخدموا Facebook إلى التركيز على خدمات معينة فيه دون سواها، مثل التحديث المتواصل للحالة وإرسال التعليقات على الدوام، وتزويد الصفحة بالصور الجديدة التي من شأنها إظهار أصحابها بشكل جيد. في حين يركز المغرورون من الذكور على إظهار ذكائهم وقدراتهم العقلية ونجاحاتهم المهنية، بينما تركز المغرورات على عرض الصور المليئة بالحركة والألوان، والتي يظهرن فيها جمالهن الخارجي وجاذبيتهن الجنسية. وهذا ما يجعل المستخدم أكثر انفتاحاً وصراحة. كما تساعد الدردشة عبر Facebook على تمتين العلاقات مع الأصدقاء، إذ يضم مئات ملايين المشتركين، حتى أنه بات يؤثر في كيفية تعرف الشبان على الفتيات، وتبدلت بسببه أساليب التعبير عن الحب وإعلان الوقوع في الغرام.²

ومع اختلاف متنفس مستخدمي الانترنت وخاصة الشباب، فإن Face book صار قوة للمشاركين في بث المسلسلات والأفلام 'الفايسبوكية'، وفتح حلقات النقاش، وتقريب ألبوم العائلة من كل أفرادها ولو ابتعدت المسافات، واستطاع أيضا أن يجمع شمل الأصدقاء الذين انقطع بينهم الاتصال لسنوات، بفضل زر واحد من مفاتيح الكمبيوتر، ومساحة هامة لروح الدعابة والنكتة.

إلا أن البعض يرى أن هناك العديد من المشاكل التي تسببها هذه الشبكات الاجتماعية، منها انتهاك الخصوصية وهدر الوقت وانتشار المشاكل الزوجية، بل وصل بها الحال لأن تصبح منبرا للسياسيين والمعارضين ليعبروا عن آرائهم وأفكارهم. ومن جانب آخر، يرى البعض الآخر أن هناك ايجابية في الشبكات الاجتماعية تتمثل في السماح للمشارك بالبوح عما في نفسه دون خجل أو خوف.

¹ - source : <http://www.alarab.co.uk/Previouspages/.../01/.../p08.pdf> - (accessed 06/10/2011)

² - source : <http://www.alarab.co.uk/Previouspages/.../01/.../p08.pdf> - (accessed 06/10/2011)

ونستطيع أن نتوصل من خلال ما تم ذكره، إلى أن الشبكات الاجتماعية سلاح المستقبل، ولا يحدد الغرض من هذا السلاح إلا من يستخدمه. فقد كشف بعض المتخصصين أن موقع Face book يمثل بيئة خصبة لأصحاب الشخصيات النرجسية والمغرورين، خاصة بين المراهقين، الذين يوفر لهم الموقع منصة مثالية للحصول على نوعية العلاقات التي يرغبون فيها، وإظهار أنفسهم بالشكل الذي يرضون عنه، كما يؤمن لهم القدرة على إظهار ارتباطهم بعدد كبير من الأصدقاء، رغم ضحالة الصلات الحقيقية التي تجمعهم.¹

خاتمة:

ومن خلال ما سبق، يمكن القول أن مواقع التواصل الاجتماعي هي حالة تعبيرية فردية، اكتسبت جماهيرية مفتوحة، بحكم الحرية في التعبير المطلق، وأن صور الإعلام الجديد، الذي جاءت به مواقع التواصل الاجتماعي، انعكس على الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بصورة غيرت البعض من ملامح خارطة العالم العربي والبعض من أوضاعه التي دامت عقوداً طويلة. وذلك في زمن قياسي، لتجد وسائل الإعلام التقليدية نفسها مرغمة على إحداث تغييرات تواكب كل هذه الخدمات الرقمية التي أصبحت منافسة لها.

ويظل السؤال عن كيفية تسخير هذه وسائل الإعلام الاجتماعية، لتعبئة المواطنين وتشجيعهم على المشاركة في صناعة مستقبلهم، ذلك أن رهان الوصول إلى أعماق المجتمع والتفاعل معه، بكافة أجياله، هو الضامن الأساسي لجعل حركية التغيير مستمرة ومتجددة، إذ من الضروري أن تكون نزعة النقد وحرية التعبير وفضح الحقائق والمساءلة الموضوعية والمطالبة بالحقوق، ثقافة راسخة متأصلة ونسق حياة متكامل. حتى يتطابق الواقع الافتراضي مع الواقع المعاش، سياسياً واجتماعياً وتنموياً، وهذا يجعلنا نتوقع أن تظهر تنظيمات سياسية جديدة ووسائل إعلام وجمعيات أهلية في البلدان العربية، يعود أصل نشأتها إلى مواقع التواصل الاجتماعي.

¹ - source : <http://www.alarab.co.uk/Previouspages/.../01/.../p08.pdf> - (accessed 06/10/2011)